نحو آليات إبيستيمولوجية منطقية لتعزيز المناهج التعليمية والتربوية في العصر الرقمي: الواقع العربي الإسلامي نموذجا

بقلم: أ.د. موسى فتاحين

أستاذ المنطق والفلسفة الإسلامية

جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة (الجزائر)

Moussa. fatahine@gmail. com

نقد وتنوير
مقاربات نقديّة في التّربية والمجتمع

نحو آليات إبيستيمولوجية منطقية لتعزيز المناهج التعليمية والتربوية في العصر الرقمي: الواقع العربي الإسلامي نموذجا

بقلم - أ.د. موسى فتاحين

ملخص الدراسة:

أتناول في هذه الورقة البحثية بعضا من المشكلات التربوية التي يطرحها الواقع المعاصر، الواقع الرقمي المدجج بالآليات ذات الذكاء الاصطناعي والأنساق المتعددة، التي فرضتها الحتمية العلمية والتطور التكنولوجي المذهل. ترتب عنه تغير سريع في الكون وأعماقه، أثّر على المعلّم والمتعلّم، في حقل العولمة المعاصرة. تلك التي تعمل على صناعة الإنسان الأنموذج، بمقياس الآليات التكنولوجية والإعلامية.

هذا، فإذا كانت هذه الرقمنة واقعا لا نستطيع أن نغفله ولا حتى نستطيع أن نعيش في معزل عنه، تعدّ حتمية تجمع الشعوب في حقل واحد وبسرعة كبيرة أثرت على الفرد والمجتمع، **فإنّ مشكلتنا تنحصر في: كيفية تخليص مدارسنا ومؤسساتنا من التبعية التعليمية**، وحسن التعامل مع الرقمنة دون الذوبان فيها؟ كيف نعزز آلياتنا التعليمية والتربوية لتستفيد من واقع العالم الجديد دون انسلاخ أو تجرّد من الهويّة العربية الإسلامية؟

الدراسة تكشف عن تحصين ممكن بالتركيز على ضبط الحدود وإدراك المعاني لإدخال الفرد في عمق المجتمع الأصيل والتميز بين الجواهر والأعراض بواسطة اللغة الطبيعية التي تقوى على الحمولة الثقافية الكافية والضرورية، ثم تفعيل آليات الاستدلال حتى يتهيأ المجتمع البرهاني الذي يقوى على الطرف الإقناعي الذي تريده العولمة اليوم. ثمّ العمل على تكريس الروح النقدية الحقيقية التي تقدر على البدائل النابعة من الهوية والأصول.

لهذا اخترنا أن تدور معالجتنا على المراحل التالية: أولا ـ تشخيص الواقع التربوي التعليمي في العالم العربي والإسلامي ثانيا ـ الحداثة الرقمية وتناقضاتها مع المبادئ التعليمية التربوية ثالثا. دور الآليات المنطقية في بناء الفكر عند الفرد العربي المسلم رابعا. دور النقد والبدائل في تنمية المناهج التربوية والتعليمية خامسا. استراتيجية التحرك في العالم الرقمي سادسا. نتائج وتوصيات.

تقديم:

إنّ الحديث عن تكوين المجتمع لا ينفصم عن مشروع تكوين الفرد فيه، ولا نختلف في القول بأن كليهما يحتكمان إلى مسالك التربية والتعليم. وهذا الذي نجده حاضرا في كل المؤسسات مذ أدرك الإنسان الحاجة إلى التغيير من ذات الفرد لتغيير ما حوله.

إنّ الذي نحن فيه الآن لا يختلف عن ذاك وذلك الذي شغل فكر المربين والمصلحين، الفلاسفة والعلماء.. في العصور والأمصار. وكل هذا، من أجل المواكبة والاستفادة، والتفكير في اختيار أساليب التمكين. والذي نناقشه من مشكلات تعليمية وتربوية، اليوم، لا يخرج عن هذا المجال. مقابلة بين التربية والتعليم من جهة، وحملته الحداثة وما بعدها للبشرية قاطبة، وللمجتمع الإسلامي خاصة. أقربها إلينا، وأكثرها تمظهرا في حياتنا، نجده في تكنولوجيا ووسائل الإعلام. إنها آلات صارت مبثوثة في كل بيت وفي كل مدرسة، بل، قل، في كل مكان من الأرض، وأصطحبت معها مصطلحات جديدة، وسلوكات غريبة، كلها تسبح في حقل الرقمنة العصرية.

فإذا كانت هذه الرقمنة واقعا لا نستطيع أن نغفله ولا حتى نستطيع أن نعيش في معزل عنه، تعدّ حتمية تجمع الشعوب في حقل واحد وبسرعة كبيرة أثرت على الفرد والمجتمع، فإنّ مشكلتنا تنحصر في: كيفية تخليص مدارسنا ومؤسساتنا من التبعية التعليمية، وحسن التعامل مع الرقمنة دون الذوبان فيها؟ كيف نعزز آلياتنا التعليمية والتربوية لتستفيد من واقع العالم الجديد دون انسلاخ أو تجرّد من الهويّة العربية الإسلامية؟

إنّنا اليوم، أمام آليات جديدة، وتحولات سريعة، فكيف يستطيع التعليم والتربية في مؤسسات العالم الإسلامي تجسيد استجابة ناجحة في هذا العالم المدجج؟ أو على الأقل، كيف نحمي أبناءنا من أخطار الرقمنة ونحسن توجيههم إلى استغلالها بحكمة؟ ما مبرر توقف المعلّم والمتعلّم عن النقد وتقديم البدائل؟

أولا - تشخيص الواقع التربوي التعليمي في العالم العربي والإسلامي:

في البداية أوضح بعض النقاط التي تتوارى بينها المغالطات، وهي محاولة تقيم الواقع التربوي عن طريق الإحصاء واستعمال البيانات والأرقام، بالاعتماد على الآليات والوسائل التكنولوجية الحديثة. فالشيء الحقيقي في هذه العملية يكمن في الكم الهائل الذي يقصد المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، والإمكانيات المادية والبشرية المُعدّة للتعليم، والأموال المرصدة لذلك. فقد يختلف الأمر من دولة إلى أخرى حسب وضعها المادي تلتقي في أهدافها العامة، في جوهرها الحرص على نشر العلم، وتنوير الناشئة بأنوار العلم الحديث، وتربيتهم على مناهج التربية المعاصرة"[1] تلك هي الصورة التي رسمتها المنظومات التربية والتعليمية في غالب أقطار العالم الإسلامي. وكان ذلك حاضرا في جملة الخطاب السياسي للتربية، لا في الخطاب التربوي للسياسة. الذي لا يغادر التقييم الاقتصادي للمؤسسات التعليمية، بدلا من التقييم التعليمي لهذه المؤسسات (مدارس وجامعات...). فعلى محور المنشآت القاعدية ليس هنالك خطر كبير، أمّا على مستوى التعليمية والمتعلّم والمعلّم، فليس لدينا ما نحاسب به، إلاّ مصاريف يقابلها إفلاس.

الواقع التعليمي في العالم الإسلامي لا يتعدى صناعة المقلّد، وتكوين الفرد المُبرمج، يركز على الاستجابة دون الفعالية، يكثر فيه طابع الاستهلاك على الإنتاج. وهذا يفسر بعجز النظام التعليمي عن الاستجابة لمتطلبات النهوض الحضاري[2]، وأبسط سؤال يمكن للباحث أن يطلّ من خلاله على ساحة التعليمية في عالمنا اليوم هو عدم وجود إجابة واضحة عن ماذا نريد؟ وهل استطاع التعليم في العالم الإسلامي بالمناهج التي اعتمدتها مؤسساته تكوين النموذج الذي أرادته؟

إنّه واقع لا يستطيع أيّ أن يخفيه، لأن الترتيب بات يكشفه في مراتب ما بعد الألف، بمنتوج صار ـ للأسف ـ كالعملة الرديئة التي تفقد كل يوم مزيدا من قيمتها، والأدهى أنها كشأن كل الأشياء الرديئة... هي المهيمنة في سوق التعامل"[3]. إنّنا لسنا بصدد تقييم هذا الواقع جزافا، بل، نتحدث

عن الفرد المتعلم في وسط التكنولوجيا والرقمنة[1]، والحال الذي صار إليه، كارتباطه بالصورة والألوان والأصوات دون إدراكه للمعاني التي تحملها الجمل، وحتى لو حصل هذا الإدراك فإنّه يتعذر الجواب والتعبير، لقد حضر الرسم وغاب الحدّ... أما في النشاط التعليمي فعلى جميع مراحله ومستوياته، تكاد تأفل الأفعال وتظهر ردود الأفعال. وهذه ميزت خطيرة يصعب معالجتها في ما بعد، الاندفاع نحو عالم الاليكترونيك دون تحليل ودون دراسة يعدّ مجازفة حقيقية[4]، وهذا الذي يجده المعلمون في الميدان، ويفسرون به ضآلة الميل إلى التعامل مع المعاني ونقدها، والخلط بين الإقناع والبرهان، و قصور روح البدائل.. كل هذه الفعاليات هي أساس التعلم الناجح، الناجح حسب أصول الثقافة الإسلامية.

بإمكان أي معلّم أو مربّي أي يكتشف، ضعف التعبير والتأليف الحر عند المتعلّم، وميل فيه عقرب الاستهلاك دون النقد والبرهان، وكأنه مشروط لا قبل له بالأمور الأخرى. أغلبيتهم لا يألفون تقديم البدائل بعد حلول الأزمات المعرفية والمنهجية والثقافية. وهنا لا نجانب الصواب إذا حصرنا هذه الأزمة الديداكتيكية في العالم الاسلامي في الفرد ذاته وليس في الرقمنة.

ثانيا: الحداثة الرقمية وتناقضاتها مع المبادئ التعليمية التربوية:

على واجهة عالم الرقمنة اليوم يبدو التقدم التكنولوجي من أبرز الأحداث الانسانية خلال القرنين 20و 21 ولا شيء أدلّ عن ذاك التقدم سوى الثورة العلمية العميقة التي ولجت كل الميادين، والذي يهمنا في هذه الورقة، هو، ميدان التربية والتعليم. لقد اجتاحت السبرنتيقا[5] كل

1- **الرقمنة:** مصطلح معاصر، نعني به التطبيقات الأدائية التكنولوجية للأنساق المنطقية، والتعبير الجبري والحسابي والهندسي على الظواهر والأشياء بطريقة اختزالية مجردة بما ابتكره الإنسان من آلات، حاسوب، أجهزة اليكترونية، وميكاإليكترونية، وألياف ذات قدرة التحكم عن بعد.. . وفق منظومة منطقية مبرمجة. logiciels جدّ دقيقة. أو هي" التي تعرف بأنها الوسائط التعليمية الاليكترونية المتنوعة، والموجودة على شكل رقمي". نظر عبد المعين سعد الدين هندي، التحولات الاقتصادية وقضايا التربية المعاصرة، دار العلم والايمان، ط1، 2009، ص 129

سبر من هذا العالم، حتى صارت جزء منه ومن الإنسان المعاصر ذاته، لا هو يفارقها ولا هي تتحرك بدونه. كالحاسوب والهاتف النقال وآلات التحكم عن بعد والطابعة... . وكلها تعمل وفق منظومة منطقية مبرمجة. logiciels جدّ دقيقة، تعرف أيضا، بأنها الوسائط التعليمية الاليكترونية المتنوعة، والموجودة على شكل رقمي. ومن أبرز صور هذا التحول الذي عرفه حقل التربية اليوم هو، هذا التجلي الذي غمر الحقل التربوي اليوم، ويتمظهر في كل ما تنتجه مصادر التعلم الاليكتروني.. المعروفة بأنها وثائق إليكترونية تخزن في شكل قابل للقراءة آليا on-line Resources، مثل الدوريات والمجلات الاليكترونية، والمواد التعليمية والبرامج التعليمية،.. والمصادر غير المباشرة وتعرف بأنه وثائق اليكترونية تخزن في شكل قابل للقراءة آليا. "[6]، إنّ عصر الديجيتال digital يتميّز بفعاليات وأنشطة جديدة، موزعة بالاشتراك بين المعلّم والمتعلّم، لا يجهلها واحد في المؤسسات التعليمية على تفاوتها من الحاجب الى المكون اليوم، تتوزع في ثلاثة منها: الاستقبال والتثبيت، المعالجة والتحليل النسقي، ثم تقديم المعلومة أو النتيجة المطلوبة. وتتم العملية في ثواني معدودة، وفيه السرعة والدقّة وتوفير الاحتمال.

هذا، وحتى لا تتخطفنا مسالك البحث فتقحمنا مشاكل التكنولوجيا الرقمية فنتناسى المطلوب، نعود إلى حقلنا المنوط بالدراسة والمناقشة، حقل التعليم والتعليمية في العالم الإسلامي المعاصر. فإذا رجعنا إلى متعلمنا وبحثنا فيه عن قدرة التحليل والتركيب، والربط بين المعاني والألفاظ، والبرهنة والحجاج سواء في حلقة الدفاع أو في الهدم. وإذا تساءلنا عن مدى التقدم في التحصيل والتكوين الذي أحرزه؟ لوجدنا أنّ الظاهر هو الذي تروّجه بعض المخابر بوسائلها التي تحدث الانبهار وتعبد طريق الشغف والولوع، وكان وما يزال ذلك متجلّيا في مظاهر التعلم الاليكتروني والاتصال والتواصل الافتراضي، بالإضافة إلى ظهور مصطلحات جديدة كلها تكرّس التعلم الاليكتروني الرقمي، وفي نفس الوقت تأفل وتندثر مصطلحات أخرى بدعوى أنّها من معوقات التفكير التعلم والتحصيل[7]. لكن إذا عملنا على إحصاء المصطلحات المندثرة والمصطلحات الجديدة لوجدنا بأن العملية ليست بريئة أصلا، فكل ما يمتّ بصلة للمعاني المخالفة للمشروع العولمي لابد أن يزول، ويحل محلّه الجديد، الجديد الذي يتغذى من تلك الايدولوجية الجديدة. هل المتعلّم في هذه الحالة يزيد قربا من إدراك هويته وأصالته أم يزيد بعدا

وجهلا؟. إنّه متعلّم لا يتحمس للحدود والأقاليم، بل، الأمور التي لا يتغذى عليها ويقتات منها لا تهمّه.

إذا كانت التربية والتعليم كما هو وارد وواضح في الثقافة الإسلامية، تقوم على الجهد والتمحيص، فمن أين يكتسب هذه المهارة إذا عاش على الجاهز، ويكتفي بالأزرار، بل أصبح بالمسح فقط. فهل يقوى على البرهنة؟

لهذا، في تقديري، إنّ التناقضات واردة، بين التربية والتعليم في العالم الإسلامي والأهداف التي تسطرها المنظومة وبين الحال الذي يصير إليه المتعلّم، الحقيقة هذه، ليست نكتة، هل التربية الرقمية ساعدته في صلة الرحم؟ بل، صار متعلما سجين الفردانية،.. و خرج من مجال التعريف لدالة العالم الإسلامي.

ثالثا - دور الآليات المنطقية في بناء الفكر عند الفرد العربي المسلم :

إنّ الذي يلفت الانتباه في عمليات الحوار بين الأفراد المتعلمين، أو بين المعلّمين والمتعلمين، في العالم العربي الإسلامي عموما، ولأوّل وهلة، هو فقر مادة الحوار وشروطه، وقد ينعكس هذا سلبا على العلاقات الاجتماعية، وعلى البحث العلمي نفسه، وأمام فضيلة الاعتراف أمام المتعلمين، والأساتذة الذين يمتهنون هذه الرسالة، في البلدان العربية والإسلامية، أنّ هناك فقر في التركيب، والترتيب، والتصنيف وفوضى في الاستدلال، و خلط بين الاقناع والبرهان.

هذا، فإذا كانت العملية التعليمية الناجحة تقوم على تلك المهارات، التي تتغذى بأساليب الاستدلال، تبدأ بضبط الحدود ومعانيها، وتمرّ على بناء المقدمات لتصل إلى النتيجة، فإنّ هذا لا يتأتى إلا بتعلم المنطق وبتفعيله. لأنّ الدراسات العلمية أكّدت عل وجود علاقة إيجابية بين الاستدلال المنطقي وحل المشكلات التي تعترض الفرد. "[8] فبناء المعرفة يتطعّم بالحدود، والعلاقة بين المعاني التي تتضمنها الألفاظ، وبواسطتها يتم تركيب الشبكة الاستدلالية التي تدرك بالحدس العقلي، وحين يتدرب عليها أثناء عمليات التفكير سيكتسب مهارة الربط والتأقلم مع كل جديد يطرأ على المنظومة المعرفية الجديدة التي بدورها تكشف عن ظهور الفرد في مجتمع المعرفة. مجتمع السوق الجديدة، إذ صار من البديهي القول: أن المعرفة عنصر فاعل فى تغيير المجتمعات، فمختلف التصورات التقنية الحاصلة فى العالم من انترنت، وشبكات اتصال، وطرق سوق

المعلومات، تهدف جميعها إلى تحقيق السرعة في الوصول إلى المعلومات والبيانات وفي اتخاذ القرار الصائب، والنفاذ العقلاني إلى السوق، فلم تعد المعرفة عفوية ولا أمراً متروكاً للصدفة، وإنما هي منارة تكشف السبل، وتهدى إلى الطرق القويمة، وتساعد على التصرف الحكيم، وبناء القرار الرشيد في مرحلة تاريخية أبرز خصائصها التقلب والاضطراب"[9]، إنّ التعليم المحكوم بقواعد الاستدلال يمكن الفرد من التميز بين الصدق والكذب، والصحة والفساد، في وقت تكثر فيه الإشهارات التي حوّلت العالم إلى سوق كبير، هل من الحكمة أن يتكون الفرد على معالم الحكمة التي تساعده على الحلول المنطقية المعقولة لمختلف المشاكل، أم نسلمه للسوق وألفاظه. للتعليم الذي يتحكم فيه السوق فتتغير فيه الحقائق حسب النتائج؟ ربما يقع اختيار البعض على هذا النموذج، لكن لماذا يستهجن ما تفرزه طريقته التعليمية فيما بعد، عندما يصطدم مع عالم الوحشية الذي يطفو في ساحته اللامعقول.

إنّ التعليم الاليكتروني ليس رديئا وخطيرا في ذاته، وإنّما يصبح كذلك إذا لم يسبق بخلفيات نظرية، تقوي من العقل الطبيعي على حساب الذهن الاصطناعي المصمّم، حتى لا يبقى في وثنية جديدة، تحجر على عقله الاصلي. فحتى مصمم الرقمية في التعليمية الخبير (مارسيل لوبران) في مقال له أكّد عل ضرورة " تكوين المعلم في مجال الرقمنة لأداء مهمته على أحسن وجه "[10] فالمعلّم لابد له أن يربط بين اللغة الطبيعية والأنساق في التفكير، ويركّز على التحليل والتركيب والترتيب قبل الانسياق إلى الحاسوب، حتى يعلم المتعلّم بأن الإنسان يمكنه أن يغيّر البرمجة في أي وقت. حتى تنمو فيه القدرة على التميز بين المقدمات الصادقة من المقدمات الكاذبة التي تهيؤها الأصوات والألوان للقبول دون الاهتمام بمعناها. أبسط مثال: الأصوات التي يقرأ بها القرآن جعلت الكثيرين يذهبون مع الأصوات ويميلون معها دون فقه المعاني والحكم التي تتضمّنها الآيات، ولنا أن نسحب هذه التجربة على العمليات التعليمية، وما أكثر المتناقضات التي أصبح اليوم ممكن الجمع بينها. والتناقض كما علّمنا المناطقة هو أكبر الأخطاء التي يقع فيها العقل. فأمّة اقرأ لا تقرأ، أمة العربية لا تفهم لغتها، فمن أين جاءت هذه التناقضات؟ بعبارة بسيطة، من طغيان الرقمنة التي وظفت حسب أهداف الوضعية المنطقية، التي جعلت من قضايانا نحن المسلمين قضايا فارغة من المعنى، وتأسيس لغة رمزية تختزل كل شيء، بما فيها المعلّم والمتعلّم. فما فتئ أن أصبح الذي " يهم ليس العقل كبنية ميتافيزيائية بل العقل كأداة للإنتاج النظري"11، فهل أصالة المسلم

وحقيقة القضايا الإسلامية في الأصول مرتبطة بالبنية فقط، أم لابد من حضور المعنى؟ فتلك هي تناقضات لابد من تجاوزها بتسخير التكنولوجيا الحديثة ذاتها. وتدريب المعلمّين على تعليم الناشئ الطرق التي يفهم بها والأدوات اللغوية والمنطقية التي يستعملها بدلا من تعليمهم فن التشغيل والحصول على النتائج. لأنّ الدقّة والسرعة يحجبان التغليط. و يهيئان الفرد على أن يصبح مجرد شريحة، والمتعلم المسلم مكلّف، يقض وحذق أوّلا وقبل كل شيء لا يقبل البرمجة وفصله عن المعاني التي هي الحمولة التي تسترزق منها شخصيته.

رابعا- دور النقد والبدائل في تنمية المناهج التربوية والتعليمية:

بعدما لمّحنا لقيمة الآليات المنطقية في العمليات التربوية التي تعمل العولمة على تغييبها بفعل البرمجة والأنساق المفروضة، ننتقل إلى فاعلية النقد، بل، النقد وتنمية القدرة على تقديم البدائل. فالعجز الذي نلحظه في الساحة التعليمية في العالم الإسلامي يؤكّد أمرين: التقليد الذي لزم عنه غياب الابتكار وهذا يسهم في تعطيل حركة النهضة بدلا من دفع عجلتها، و الأمر الثاني: غياب القدرة على ابتكار البدائل المعرفية والمنهجية.

لهذا، في تقديرنا، أنّه لابد من تدريب المتعلّم على التميز بين المراحل التي نقطعها للوصول إلى حل المشكلات التي نوضع فيها، وبين الاكتفاء بالبحث عن برمجة حاضرة نثبتها ونشغلها، لأنّ التعلّم الحقيقي الذي نطمح إليه هو، الخروج عن ابتكار منهاج تربوي بدل مناهج تربوية نابعة من الثقافة الإقليمية وأصولها، تركز على الرسم والقراءة في سياق الصورة أكثر من القراءة المحاكية للمعنى ومضمون الدلالة، والمبحر في علم الألسن والدلالات يسهل عليه إدراك هذا الخطر، و ما توجه الأدب المعاصر والفلسفة التأويلية والبنيوية ببعيدة عن هذا التموضع في جوهر المشكلات التربوية. ولهذا الاتجاه خطورة على حرية الانسان، وعلى تفكيره الذي يعدّ جزء ذاتيا من ماهيته. نعم الماهية التي ما انفكت تطرح اليوم كقضية خاوية من المعنى، تقليدي من حاول بعثها ونبش خيوطها، ولعلّ فلاسفة التحليل لا ينكرون هذا الهدر، لأنهم لم يتوقفوا عن خصومتهم لها"[12].

المتعلم في العالم الإسلامي، لابد أن تعزّز مناهجه التربوية بالمهارات الابستمولوجيا التي تنمي فيه قدرات النقد والسعي لإحداث التجديد، وليس الحصول على الجديد التي نشتريه. وهذه الخاصية يركّز عليها التربويون ورجال الديداكتيك في كل مشاريعهم وخاصة عند بناء المناهج.

فالابستمولوجيا من شأنها أن تدفع عن متعلمينا وأساتذتنا البقاء في التقليد، وتنمي فيهم القدرة على البدائل، ومن هذا، يظهر التجديد. الأصيل.

خامسا- استراتيجية التحرك في العالم الرقمي:

إنّ الحديث عن المشكلات الديداكتيكية والتربوية أمر معقد تتداخل فيه أطراف كثيرة، كلّ له نصيب في العملية التربوية والتعليمية، وينعكس ذلك على تكوين الفرد الإنسان الذي تريده المنظومة. مبدئيا، نعلم أنه لا انفصام بين العالم الرقمي العصري والعولمة الجديد، بل هو آلية من ألياتها، تآكل القيم والتقاليد وتفاقم التناقضات واغتيال العقل والحجر عليه تحت وطأة الصّورنة والمكننة المجحفة. وما الكوارث الطبيعية والاندثار الاجتماعي والخلل النفسي.. والانفصالية والاغتراب والفراغ الروحي إلا نتيجة تلك المغامرة الرمزية الأدائية الجوفاء. شيء جميل وطريق ظاهره جليّ حين نعيش مع التكنولوجيا وتطبيقات النظريات العلمية بفعل الأجهزة والآلات والأنساق المتعددة، بالسرعة الفائقة، والمعالجة الفورية والألوان الدقيقة. لكن هل لك أن تعثر على البعد الإنساني فيها؟

فكيف لنا أن نبني مشروعا تربويا جوهره الإنسان المتعلم المفكر، الناقد، الذي يتساءل حول البسيط والمعقد، ثم نقحمه في عالم كله أدوات وأزرار، بل وأنساق مبرمجة مسبقا، وقوالب تفكير على أمثلة سابقة؟ ثمّ أنّ النشاطات التربوية الموجة للأصناف المستهدفة، قد تجد سهولة كبيرة ومتعة فائقة في استفزاز بعض القدرات العقلية، كالذكاء والذاكرة، والتمرن على سرعة الاستجابة، وهذا شيء جميل له أهمية كبيرة، لكن التربية التي يقصدها الحكيم المتّزن لا تستثني أي نقطة في الإنسان المتعلم المتكوّن، تنمي الخيال imaginiring مع الوجدان والجمال، تلك الأنماط والقدرات التي تخترق جدار المادة والإنتاج.

خاتمة:

إنّ الأمر التربوي والتعليمي لا يقوم في عالمنا إلاّ بإعادة بعث الحوار بين العقول انطلاقا من الطبيعة البشرية، وهذا لا يمكن أن يكون خارج القضايا التي تستثمر فيها العلوم الإنسانية. والحمولة الإسلامية متميّزة عن تلك التي تروّج في وسائل الإعلام والمدارس والمؤسسات الغربية الجافة، التي ربّما لا يخدمها ما تحمله القضايا من معاني خصبة. والدليل على هذا هو لماذا عاد الغرب إلى تطوير مختبرات العلوم الإنسانية؟ هل تمكّنت مؤسساتها من تكوين إنسان السعادة؟ كلاّ، وإن شئت انظر منزلة الأسرة في أوروبا دون خجل، فخيوط الفشل واضحة، لأن الجري وراء الصورة، واستدبار المعاني الخاصة بالإنسان فعلا فعلتهما، فهل نواصل في اثر نعلهم بالنعل؟

ب . إنشاء ديداكتيك منطلقه الوضعية المشكلة التي تثير حسه الإشكالي، باستفزاز أبعاد الإنسان والاستثمار في كل جوانبه دون إفراط أو تفريط.

ج . العودة إلى القضايا الميتافيزيائية والمادة المعرفية التي من شانها ان تنمي المخيلة والذكاء.

د . الحرص على البعد الجمالي والذوقي الذي لا يمكن الحصول عليه إلاّ في ضوء المادة المعرفية التي تحملها القضايا ذات الصلة مع الإنسان . الاستعمال العقلاني للآلة والعقول الاليكترونية المصطنع . الحرص على الفكر الحر كأساس كل ابتكار أو تقدم

هذا، وأخيرا، نستطيع القول أنه ما دامت هناك وهنالك مشكلات تتعلّق بالإنسان فالعلوم الإنسانية تبقى قائمة، بل وضرورية، من العبث والمجازفة التمرّد عنها، بل تبقى موجودة لكنها تنتظر من يبعثها في ثوبها الحقيقي، دون تعقيد في النسق أو غموض في الدلالة والمصطلح لا يكتفي بالتوفيق والتبليغ فقط، حتى نستدرك تقصير الغافل والمتغافل عن المهمة التي وجد من اجلها الإنسان المحب للحكمة المتذوق للحياة التي يشعر بكيانها وجمالها.

لنعزز مناهجنا وحوارنا باللغة الإنسانية، بالمنطق وآلياته الاستدلالية ونطعم المعارف وتاريخها بالابيستيمولوجيا حتى نهتدي لبناء الإنسان البرهاني المجدد عوض الكائن التكراري المقلد.

المراجع والهوامش

1- انظر الحولية العربية للتربية، التطور التربوي في الوطن العربي تونس 2010

2- انظر دراسة علمية حول واقع التربية في العالم الإسلامي www. kantakji. com%2Fmedia%2F6524%2F1066

3- علي بن محمد، الفعل التربوي في الأقطار العربية، الملتقى الدولي الثالث، مخبر التربية والابستيمولوجيا، 2013، ص 28

4- نبيل علي، تحديات عصر المعلومات، ص187

5-cybernitics علم التحكم الآلي هو التخصصات وهو منهج لاستكشاف النظم التنظيمية، وهياكلها، والقيود، والاحتمالات. وهو علم التحكم الآلي الذي هو ذات الصلة لدراسة النظم، مثل الميكانيكية والفيزيائية والبيولوجية والمعرفية، والنظم الاجتماعية. علم التحكم الآلي القابل للتطبيق عندما يكون النظام في تحليله يشتمل على إشارات نسقية. أو هي المكننة المنطقية وعملياتها التطبيقية.

6- إيناس أحمد العفيفي، مصادر العلم الاليكترونية والمكتبات الرقمية،، منظومة التعليم عبر الشبكات، القاهرة، عالم الكتب، 2005، ص31.

7- انظر أشغال الملتقى الدولي الأول، حول التربية والعولمة، مخبر التربية والابستومولوجيا، مداخلة الدكتور موسى فتاحين حول أثر الرقمنة في التعليم ديسمبر 2012.

8- غسان المنصور، مجلة جامعة دمشق، المجلد28، العدد1، 2012.

9- المصنف وناس: مجتمع المعرفة والإعلام، ***الإذاعات العربية***، العدد (4)، اتحاد إذاعات الدول العربية، جامعة الدول العربية، 2002، ص16.

10 - Marcel Lebrun. Lebrun, M. (2002). Théories et méthodes pédagogiques pour enseigner et apprendre: Quelle place pour les TIC dans l’éducation? Bruxelles-Paris: De Boeck.
Lebrun, M. , & Viganò, R. (1995a).

11 - محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط10بيروت، 2009، ص 29.

12- أشغال المؤتمر الأول، التربية والعولمة، الرقمنة وتأثيرها على الانسان، الدكتور فتاحين موسى 2012.